الى الجنة الحديث فعلم انها كانت جنة مخصوصة لها من فريضة ولا نافلة ولا عمل خير
ولا ترك محرم الا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص ينال به من دخلها وقد
يجمع الواحد من الناس في الزمان الواحد اعمالا من العبادات فيوجر في
الزمان الواحد من وجوه كثيرة فيفضل غيره ممن ليس له ذلك • فقد تبين
ان نيل المنازل والدرجات في الجنات بالاعمال واما الدخول فلا يكون
الا برحمة الله تعالى كما في البخاري ومسلم من حديث عائشة ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال لن يدخل احد الجنة عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال
ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته اي يلبسنيها ويسترني • لها ماخوذ من
غمد السيف وهو غلافه • وعند الامام احمد باسناد حسن من حديث
ابي سعيد الخدري لن يدخل الجنة احد الا برحمة الله قالوا ولا انت يا رسول
الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وقال بيده فوق راسه يعني
ان الجنة انما تدخل برحمة الله وليس على العبد مستقلا بدخولها وان كان
سببا • ولهذا اثبت الله دخولها بالاعمال في قوله تعالى وتلك الجنة
التي اورثتموها بما كنتم تعملون ونفى صلى الله عليه وسلم دخولها بالاعمال
في قوله لن يدخل احدكم الجنة بعمله ولا تنافي بين الامرين لما ذكر سفيان
وغيره قالوا يقولون النجاة من الله بعفوه ودخول الجنة برحمة الله
واقتسام المنازل والدرجات بالاعمال ويدل له حديث ابي هريرة
ان اهل الجنة اذا دخلوها نزلوا فيها بفضل اعمالهم رواه الترمذي قال
ابن بطال محمل الاية على ان الجنة تنال المنازل فيها بالاعمال فان درجات
الجنة متفاوتة بحسب تفاوت الاعمال ومحمل الحديث على دخول الجنة
والخلود فيها • ثم اورد على هذا الجواب قوله تعالى سلام عليكم ادخلوا
الجنة بما كنتم تعملون فصرح بان دخول الجنة بالاعمال ايضا واجاب
بانه لفظ مجمل بينه الحديث • والتقدير ادخلوا منازل الجنة وقصورها
بما كنتم تعملون وليس المراد بذلك اصل الدخول • ثم قال • ويجوز ان يكون
الحديث مفسرا للاية والتقدير ادخلوها بما كنتم تعملون مع رحمة الله لكم
وتفضله عليكم • لان اقتسام منازل الجنة برحمة الله وكذا اصل دخولها
الجنة برحمته حيث الهم العاملين ما نالوا به ذلك • ولا تخلو اي من
محاز اته لعباده من رحمته وتفضله • وقد تفضل الله عليهم ابتداء
ثم برحمته قبل تعلمهم • واشار الى نحو القاضي عياض فقال وان من

رحمة

رحمه الله توفيقه للعمل وهدايته للطاعة وكل ذلك لم يستحقه العامل بعمله
وانما هو بفضل الله ورحمته • وقال غيره ولا تنافي بين ما في الاية والحديث
لان الباء التي تثبت الدخول هي السببية التي تقتضي سببية ما دخلت عليه
لغيره وان لم يكن مستقلا بحصوله • والباء التي تنفيه الدخول هي باء المعاوضة
التي يكون فيها احد العوضين مقابلا للاخر نحو اشتريت منه بكذا فاخبر ان
دخول الجنة ليس في مقابلة عمل احد وانه لو لا رحمة الله بعبده لما ادخله الجنة
لان العمل مجرده ولو تناهى لا يوجب دخول الجنة ولا يكون عوضا لها لانه
لو وقع على الوجه الذي يحبه الله لا يقابل نعمة الله • بل جميع العمل لو ازي
نعمة واحدة فلو طالبه بحقه لبقيت عليه من الشكر على تلك النعمة بقية لم يقم بها
فلذلك لو عذب اهل سمواته واهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم ولو رحمهم
لكانت رحمتهم خيرا من اعمالهم • كما في حديث ابي بن كعب عند ابي داود
وابن ماجة وهذا فصل الخطاب مع الجبرية النضاة للحكمة والتعليل القائلين
بان القيام بالعبادة ليس لامجرد الامر من غير ان يكون سببا للسعادة
في معاش ولا معاد ولا نجاة المعتقدين ان النار ليست سببا للاحراق
ولا الماء سببا للارواء والتبريد • والقدرية الذين يبقون نوعا من
الحكمة والتعليل القائلين بان العبادات شرعت ابتداء لما يناله العباد
من الثواب والنعيم وانها بمنزلة استيفاء الاجراء • محتجين بان الله
تعالى يجعلها عوضا كما في قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ونبقوله عليه
الصلاة والسلام حاكيا عن ربه تعالى يا عبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم
اوفيكم اياها • وهو لاء الطائفتان متقابلتان اشد التقابل وبينهما اعظم
التباين فالجبرية لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزاء البتة • والقدرية
جعلت ذلك كله لمحض الاعمال ونفتا لها والطائفتان جائرتان منحرفتان
عن الصراط المستقيم الذي فطر الله عليه عباده وجاءت به رسله ونزلت
به كتبه وهو ان الاعمال اسباب موصلة الى الثواب والعقاب مقتضيات
لها كما تقتضي سائر الاسباب لمسبباتها وان الاعمال الصالحة من توفيق
الله ومنته وصدقته على عبده ان اعانه عليها ووفقه لها وخلق فيه
ارادتها والقدرة عليها وحببها اليه وزينها في قلبه وكره اليه
اضدادها • ومع هذا فليست عنا جزاء • وثوابا بل غايتها ان تكون شكرا
لله تعالى قبل بحانه ولهذا نفى عليه الصلاة والسلام دخول الجنة

Copyright © University